اللغة العربية في عصر المعلوماتية بقلم: أ.د. فيروز مامي زرارقة جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

### ملخص:

يقال إن "لغتي هي عالمي وحدود لغتي هي حدود عالمي"، فاللغة العربية هي أحد أبرز ملامح ثقافتنا العربية وأكثرها ارتباطا بمويتنا الثقافية، إنما لغة عريقة صمدت قرابة 17 قرنا من الزمن. ولكنها اليوم وأمام التعدد اللغوي والتنوع الثقافي في ظل العولمة الاتصالية، تتعرض إلى حركة تهميش واضحة، حتى من منتسبيها بسبب اكتساح اللغة الإنجليزية كل الجالات، إضافة إلى الحرب التي تشنها العولمة ضد الإسلام مما أضعف اللغة العربية وترتب عليه وجود فجوة بين الجتمع العربي ولغته واغتراب أبنائها عنها وذوبانهم في لغة الآخر، وتبقى الهوية العربية متأرجحة بين التأصيل والتغريب لضعف أهم مقوم فيها وهو اللغة العربية، وبلا شك إننا نعيش اليوم أزمة لغوية مستعصية خلفت عاهة ثقافية تكاد تكون مستديمة.

#### **Abstract:**

It is said that "my language is my world and the limits of my language are the borders of my world" Arabic language is one of the most prominent features of our Arab culture and the most close to our cultural identity, therefore it is an ancient language which withstood nearly 17 centuries. But today, in the face of the multilingualism and cultural diversity in the shadow of information globalization, Arabic language is exposed to a huge movement of clear marginalization even from its members because of the sweep of English language all sectors; In addition of the war waged by the globalization against Islam which weakened the Arabic language, which entailed an existence of a gap between the Arab society and its language, and alienation of its members by melting them in the other's language. The Arab identity remains oscillating between enrooting and alienation because of the weakness of its main rectifier which is Arabic language. No doubt that we live today in an intractable linguistic crisis, which leaved a cultural disease nearly permanent.

**الكلمات المفتاحية:** اللغة، الثقافة، الهوية، العولمة الثقافية، التعدد اللغوي، الأزمة اللغوية.

#### مقدمة:

إنّ البحث في موضوع اللغة يعنى البحث في حياة الإنسان نفسه، وتواجده في منظومة ثقافية ولغوية يفترض أن تكون متسقة، لكن حين تصبح اللغة معوّقا ثقافيا يقف حائلا بين المجتمع وعملية تطوره الحضاري فإنّ الأمر يستدعى التدخل الفعال للكشف عن موضع العلة والخلل بخاصة إذا تعلق الأمر بلغة عريقة وسامية كاللغة العربية، هذه الأخيرة التي لها قواعدها وضوابطها والتي عمل الدين الإسلامي على تطعيمها ليصنع منها نسيجا ثقافيا متكاملا ومتجانسا. لكن اليوم وأمام هذا التعدد اللغوي والتنوع الثقافي في ظل العولمة الاتصالية، وبحكم أن اللغة ككيان اجتماعي يحيا وينمو ويموت، تتعرض اللغة العربية إلى حركة تهميش طاحنة حتى من منتسبيها بسبب اكتساح اللغة الإنجليزية كل الفضاءات، إضافة إلى الحرب التي تشنها العولمة ضد الإسلام مما أضعف اللغة العربية-كونما لغة الإسلام- والذي تترتب عنه وجود فجوة بين المجتمع العربي ولغته، واغتراب أبنائها عنها؛ أي والذوبان في لغة الآخر. وتبقى الهوية العربية متأرجحة بين التأصيل والتغريب لضعف أهم مقوم فيها وهو اللغة العربية. إننا نعيش اليوم بلا شك أزمة لغوية مستعصية خلفت عاهة ثقافية تكاد تكون مستديمة. وهو ما يجعلنا نقف مستفهمين أمام مشكلتنا اللغوية بحثا عن علاجات لها، وبعث عجلة تقدمها في عصر مجتمع المعرفة، من خلال تحليل مكانة اللغة في منظومة الثقافة العربية، وحدود الهوية الثقافية العربية، وإمكانية تفعيل اللغة في عصر المعلوماتية، انطلاقا من جملة مقومات أساسية في بناء البنية اللغوية العربية، وبرؤية سوسيو -ثقافية.

# أولا: مكانة اللغة في المنظومة الثقافة العربية:

1 ماهية اللغة: ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة لغا أن اللغة هي اللسن وحدها أنما أصوات يعبر بما كل قوم عن أغراضهم. وجمعها لغات  $^1$ ، فهي التعبير عن ملكة اللسان

<sup>1</sup> ابن منظور، **لسان العرب**، ط4 (بيروت: دار صادر، 2005)، ص 214.

الخاصة بالجنس البشري؛ إذ يستخدم أعضاء جماعة رموزا صوتية للتعبير والتواصل والتصرف $^2$ ، وهي وسيلة لنقل الفكر وللتعامل الاجتماعي، الأولى في المجتمع الإنساني $^3$ .

واللغة عند ابن حلدون شبيهة بالصناعة؛ إذ إن اللغات هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتما وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصائها . في حين أن اللغة عند عالم اللغات "دي سوسير"هي جزء محدد من اللسان مع أنه جزء جوهري، لا شك أنّ اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة .

وعليه فإن للغة غايات أساسية من أبرزها تحقيق التواصل مع الغير؛ إذ يستحيل على بني البشر العيش في عزلة، كما أنها تمثل الكون لأنفسنا في عقولنا، وتعلم تصنيف الأشياء باستخدام الكلمات التي توفرها لنا لغتنا<sup>6</sup>، وهذا ما جعل اللغة تتميز بثلاث خصائص مهمة:

- تمثيلها في نظم يشترك في إتباعها المحتمع وينفذها أفراده أساسا لتنظيم حياتهم الجمعية. وتنسيق العلاقات التي تربط بينهم.

- إنها نتاج العقل الجمعي.
- لا يمكن للفرد أن يخرج عنها أو عن نظامها وإلا واجه عقاب المحتمع وازدراءه.

ولهذا يكتسب المرء لغة الأم ويدرك العالم المحيط به منذ طفولته المبكرة خلال التصور ذاته الذي تحظى به الأم ومن هنا زعم وورف"أننا أسرى اللفظ وأننا ندرك قوانين لغتنا الأم منذ

\_\_\_

<sup>&</sup>lt;sup>2</sup> بيار بونت، ميشال ايزار، معجم الإتنولوجيا والأنتروبولوجيا، ترجمة: مصباح الصمد، ط1، (بيروت: المعهد العالي العربي للترجمة، 2006)، ص 769.

<sup>3</sup> محمد فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية (القاهرة: دار الثقافة، 2003)، ص8.

<sup>&</sup>lt;sup>4</sup> عبد الرحمن بن خلدون، ا**لمقدمة**، ط1 (بيروت: دار إحياء التراث العربي، دس)، ج1، ص 554.

<sup>&</sup>lt;sup>5</sup> فردينان دي سوسور، **علم اللغة العام،** ترجمة: يوئل يوسف عزيز (بغداد: دار آفاق عربية، 1985)، ص 27.

<sup>&</sup>lt;sup>6</sup> جون جوزيف، **اللغة والهوية: قومية، إثنية، دينية،** ترجمة: عبد النور خراقي (الكويت: عالم المعرفة، 2007)، ص 19.

طفولتنا المبكرة على نحو تلقائي ونحن نكتسب لغة الأم ونكتسب معها وفي نفس الوقت وبطريقة غير واعية أسلوبا نوعيا ومميزا للتفكير كما نكتسب "ميتافيزيقا" باطنة خافية"<sup>7</sup>.

فاللغة بهذا المفهوم هي كائن حي يعيش مع الإنسان ويخضع لمختلف مظاهر التطور التو يمر بها الإنسان في بيئته فأي تغيير أو تطور يطرأ على حياة ذلك الكائن البشري يجب أن ينعكس على لغته التي لا تنفصل عنه لحظة من الزمان $^{8}$ .

وبهذا الشكل تكون اللغة مادة اجتماعية، بمعنى أنها تخطو وتنمو وتنهض وتتراجع وتتخلف وتندثر وفقا للتعامل الايجابي أو السلبي الذي تلقاه من مجتمعها وبالتالي اللغة هي كائن اجتماعي؛ أي أن تقدمها وتأخرها يرتبطان في المقام الأول بمدى استعمالها في المجتمع فقد بيّن أنطوان مييه (1936-1886) في العديد من النصوص الطابع الاجتماعي للغة، فهي ظاهرة اجتماعية بامتياز 10، ذلك أنّ كلمة لغة تعني عنده كل جهاز كامل من وسائل التفاهم بالنطق، المستعملة في مجموعة يعنيها من بني الإنسان بصرف النظر عن الكثرة العددية لهذه المجموعة البشرية أو قيمتها من الناحية الحضارية. إننا نستطيع أن نعد من اللغات بقدر ما نستطيع أن نعد في هذا العالم من مجموعات بشرية يختلف بعضها عن بعض اللغات بقدر ما نستطيع أن نعد في هذا العالم من مجموعات بشرية يختلف بعضها عن بعض أبناء مجموعة أخرى إلا بعد تلقين وتعليم.

واللغة العربية هي أحد اللغات السامية الحية وأحدثها إضافة إلى الآرامية والعبرية 11، فهي من اللغات الراقية، بلغت من الثراء في المفردات وصنع التعبير ما أثار إعجاب كبار

-

<sup>&</sup>lt;sup>7</sup> عز الدين صحراوي، "اللغة العربي في الجزائر التاريخ والهوية"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية،** الجزائر: جامعة فرحات عباس سطيف، (جوان 2009).

<sup>&</sup>lt;sup>8</sup> عز الدين صحراوي، "اللغة العربي في الجزائر التاريخ والهوية".

<sup>&</sup>lt;sup>9</sup> محمود الذوادي، المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية عربية إسلامية (بيروت: المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، 2010)، ص 210.

<sup>10</sup> لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ترجمة: محمد يحياتن (الجزائر: دار القصبة، 2006)، ص 11.

 $<sup>^{11}</sup>$  محمد فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية، ص $^{12}$ 

علماء اللغات من المستشرفين الذين عنوا بدراستها. ولا عجب إذا قلنا أن الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو صاحب أول معجم عربي "العين" الذي توصل فيه إلى إحصاء أكثر من الفراهيدي وهو صاحب أول معجم الأبجدية العربية، من الثنائي المضعف والثلاثي المضعف وتقاليبه المضعف وتقاليبه المضعف وتقاليبه المضعف وتقاليبه 120 وغيرها 12 وغيرها أله وتقاليبه الستة، والرباعي المضعف وتقاليبه 24، والخماسي المضعف وتقاليبه 120 وغيرها أله المنتقبة والرباعي المضعف وتقاليبه المنتقبة والرباعي المضعف وتقاليبه المنتقبة والرباعي المضعف وتقاليبه 24، والخماسي المضعف وتقاليبه المنتقبة والرباعي المضعف وتقاليبه المنتقبة والرباعي المضعف وتقاليبه 24 والخماسي المضعف وتقاليبه المنتقبة والرباعي المنتقبة والمنتقبة والمنتقبة والمنتقبة والرباعي المنتقبة والمنتقبة والم

### 2- اللغة في الثقافة العربية:

إن المفهوم التأسيسي للثقافة الذي قدمه الأنثروبولوجي الإيطالي إدوارد بارنات تايلور يجعل الثقافة موضوعة في معناه الإثنولوجي الأكثر اتساعا، فالثقافة عنده هي "ذلك الكل المكب الذي يشتمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع "13.

انطلاقا من هذا التعريف فإن الثقافة تعبّر عن تلك التراكمات المعرفية في جميع جوانبها الإنسانية، والتي بطبيعة الحال تنتج إثر عملية التفاعل والمحاكاة الحاصلة بين الإنسان وبيئته الطبيعية والاجتماعية والثقافية، وتعدّ اللغة هي الرابطة التي تربط بين الإنسان والوجود؛ حيث تضفي معنى على رموزه، وتعمل على حماية ونقل الموروث الثقافي عبر الأجيال لتنسج بذلك المعالم الشخصية لهوية المجتمعات الإنسانية؛ حيث جاء في مشروع منظمة اليونسكو الذي يدور حول موضوع اللغة وإمكانية الحفاظ عليها من الاندثار وذلك انطلاقا من تساؤل جوهري مفاده: لماذا الحفاظ على التنوع الغوي؟ وكان الجواب ببساطة "أن اللغات هي نواقل بثقافاتنا وذاكرتنا الجماعية وقيمنا، فهي عنصر أساسي لهويتنا والتراث الحي لدينا"<sup>14</sup>.

\_

<sup>12</sup> مرداسي الجودي، "اللغة العربية وتحديات العولمة"، في: فضيل دليو(إشراف)، العولمة والهوية الثقافية (الجزائر: مخبر علم احتماع الاتصال بجامعة منتوري-قسنطينة، 2010)، ص 233.

<sup>13</sup> دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: منير السعيداني، ط1 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007)، ص 31.

<sup>&</sup>lt;sup>14</sup> UNESCO, L'Atlas UNESCO des langues en danger dans le monde, l'Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture, 2011.

إنّ الجتمعات العربية لم تعرف الثقافة إلا عندما عرف الإنسان كيف يشير إلى الأشياء والعلاقات؛ أي أنّ ظهور الثقافة قد ارتبط بظهور الرموز أو العلاقات التي تكون نظام اللغة، وإذا كانت كلمة ثقافة تشير في كتابات الأنثروبولوجيين إلى أسلوب الحياة السائدة في مجتمع ما، فإن هذا يعني وجود علاقة وثيقة بين اللغة والثقافة 15، فلغة أي مجتمع تعتبر مظهرا من مظاهر ثقافته ومحاولة فصلها عن الثقافة يعد عملا منافيا لطبيعة كل منهما، ولهذا فإنه يمكن أن نصف الثقافة بنفس الطريقة التي نصف بها اللغة، لأنّ الأشكال اللغوية لا تختلف عن الأشكال الثقافية ولأن كلا منها يمتلك وجودا ماديا معنويا، فالأولى تظهر في شكل علامات أو كلمات مكونة من أصوات تحمل دلالات معينة، والثانية تظهر في شكل صور مادية لها قيمة دلالية أو استجابية من قبل الجماعات16، وتشتمل كل ثقافة على عناصر أو أنماط ثقافية منها اللغة وما يتصل بها من أصوات وتراكيب ودلالات وما يصاحب استعمالها مثل الإشارات الجسمية والقيم الصوتية وغيرها 17؛ إذ تمثل اللغة نمطا هاما من الأنماط الثقافية التي تتكون من حلال ثقافة مجتمع ما، بل تعدّ عند معظم الأنثروبولوجيين أهم هذه الأنماط، فهي الوعاء الذي يحتوي جميع الأنماط الثقافية وسماتها من ناحية، وأن كل ما يكتسبه الفرد ويتعلمه من هذه الأنماط يصل إلى عقله ووجدانه من خلال اللغة من ناحية ثانية، ولقد كان هذا الارتباط الوثيق بين اللغة والثقافة يقف وراء الاهتمام الذي أبداه الأنثروبولوجييون لدراسة لغات المجتمعات التي اهتموا بها18.

ولذلك فإنّ دور اللغة في المجتمع لم يقتصر على اعتبارها أداة اتصال بين الأفراد فقط، بل إنحا أصبحت تمثل جزءا أو عنصرا هاما من عناصر الثقافة وأن فهمها جيدا يتوقف على

<sup>15</sup> كريم زكي حسام الدين، اللغة والثقافة: دراسة أنثروبولوجية لألفاظ وعلاقات في الثقافة العربية، ط2، 2000، ص79.

<sup>16</sup> كريم زكي حسام الدين، اللغة والثقافة، ص 99.

<sup>17</sup> كريم زكى حسام الدين، اللغة والثقافة، ص 12.

الدين، اللغة والثقافة، ص $^{18}$ 

فهم الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع، فدراسة العلاقة الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافي لا يعني شيئا أكثر من أنّ اللغة لها أساس ثقافي، وأنه لا يمكن تحديد مفرداتها ودلالاتها تحديدا دقيقا إلا بمعرفة البنية الثقافية لهذه المفردات. كما يذهب الأنثروبولوجيون والاجتماعيون إلى أنّ اللغة شيء أكبر مما نجده في المعاجم، والدراسة العميقة لها تحتاج إلى التعرف على الروابط اللغة ين أنماط اللغة وأنماط الثقافة.

وعليه فإنّ تصور الثقافة بدون لغة هو ضرب من المحال، فكلما صارت الثقافة أكثر تعقيدا ازدادت الحاجة إلى الاتصال والتواصل، لذلك فإن القدرة على التفكير الرمزي والمجرد هو ما تحتاج إليه، فاللغة والقدرة على الاتصال بما تعتبران شرطا أساسيا وضروريا لأي مجتمع إنساني ولا يمكن تصور ثقافة بدونه، فاستخدام اللغة لا يعني قدرة الإنسان على الاستجابة إلى الرموز فقط، بل يعني كذلك قدرته على ابتكارها وبالتالي فإنّ الرمز هو الوحدة الأساسية للثقافة شأنه في ذلك شأن الخلية في جسم الكائن الحي، والعالم الثقافي الذي يدركه الإنسان هو عالم رمزي يعبر عنه بالرموز ومن خلالها أصبح قادرا على ابتكار المعاني وإكساب الطبيعة خصائص جديدة أمكن نقلها من جيل إلى جيل على أساس من التمييز والاختيار والتنبؤ والتنبؤ .

وإذا كانت اللغة الرابط بين الماضي والحاضر فإنها طريق المستقبل الذي لا يمكن أن صناعته وتشكيله إلا من خلالها، ذلك أن إنتاج المعرفة في أمة ما وبناء حضارة لا يمكن أن يتم إلا باللغة، فهي على مستوى المستقبل طريق واحدة يمكن أن تستفيد من كل التجارب الإنسانية من دون أن تركن إلى التواكل والبحث عن الحلول الجاهزة أو الملفقة أو تجنح إلى الإبداع فيقبل الاستلاب ويفقد القدرة على الإبداع ويستقيل من كل مهمة في صناعة التاريخ

<sup>19</sup> عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، ط1 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006) ص 39.

والمساهمة في إثراء الثقافة الإنسانية 20. اللغة إذن هي جوهر الثقافة الإنسانية عبر تجليات مختلفة فهي أداة التعبير في جميع حقول الأدب وكانت أداة الكتب السماوية إلى جانب أنها وعاء تختزن التراكمات الثقافية والتحولات الاجتماعية والتاريخية، لاسيما أنّ لكل ثقافة في زمان ومكان ما لغتها؛ إذ تتبادل اللغة والثقافة أدوارهما، فقد كانت اللغة في البدء مصدرا للثقافة وحدث بعد ذلك أن أصبحت اللغة أساسا لإعادة خلق الثقافة.

وإذا تدرجنا في التحليل يتبين لنا حدود الترابط والتداخل بين مفهومين جوهريين في تكوين العالم الإنساني هما الثقافة واللغة، هذين المفهومين الذين يشكلان قضية جدلية استطاعت أن تكشف عن أهمية كل مفهوم فيها بالنسبة إلى الآخر. واللغة العربية هي واحدة من بين اللغات التي أسهمت في بناء الثقافة العربية ومقوما أساسيا فيها، إضافة إلى الدين الإسلامي الذي طعمها جاعلا منها ثقافة متفتحة وداعية إلى الحوار والتفاهم والتعايش مع باقي الثقافات، فهي مقوم أساس من مقومات الثقافة العربية الإسلامية، ذلك أن اللغة العربية ليست لغة أداة فحسب ولكنها لغة فكر بالأساس، وحتى الشعوب والأمم التي انضوت تحت لواء الإسلام، وإن احتفظت بلغتها الوطنية، فإنما اتخذت من اللغة العربية وسيلة للارتقاء الثقافي والفكري، وأدخلت الحروف العربية إلى لغتها فصارت تكتب بها 21.

إنّ للغة العربية مكانة خاصة في نفوس المسلمين استوعبت الثقافة والفكر والفلسفة والتشريع والطب والصيدلة والفلك، ومختلف الاختراعات العلمية 22، فاللغة العربية تعد من أبرز ملامح ثقافتنا العربية وأساس تشكيل هويتنا الثقافية كيف لا وهي لغة حية ولادة خلاقة

-

<sup>20</sup> مها حسن يوسف القصراوي، واقع اللغة العربية بين التفكير والتعبير وأثره في الهوية، كلية التربية والتعليم العام، جامعة العين للعلوم والتكنولوجيا، 2012، ص3.

<sup>&</sup>lt;sup>21</sup> عبد العزيز بن عثمان التويجري، "الثقافة العربية والثقافات الأخرى"، ضمن ندوة المهرجان الوطني للتراث والثقافة في المملكة العربية السعودية، الرياض، مارس 1998.

<sup>22</sup> جميلة قيسون، اللغة العربية وتشكيل الهوية في ظل العولمة، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري-قسنطينة، الجزائر، دس، ص.4.

صمدت قرابة 17 قرنا برغم الهجمات الشرسة التي أفرزها تحولات العصر ضدها محاولة إضعافها، فهي لغة القرآن تحضى بالحماية من الله تعالى، لقوله: ﴿إِنَا نَحْنَ نَزِلْنَا الذَّكُرُ وَإِنَا لَهُ لَخُافِظُونَ﴾. ( الحجر: 9).

### 3- اللغة والدين:

لن تتأتى معرفتنا لعلاقة اللغة بالدين إلا من خلال فهمنا لعلاقة الدين بالثقافة؛ حيث عثل الدين ثقافة كاملة لشعب أو أمة أو حضارة، ليس لكونه مجموعة نصوص وتعاليم وقيم فحسب، بل هو كيان مجسد اجتماعيا ومبلور بالممارسة في أنماط وتقاليد وأفعال فضلا عن كونه نظاما من التصورات بغض النظر عن طريقة استيعابه وطرق التعبير عنه من طرف المؤمنين به 23؛ حيث يقوم الدين بتشكيل الثقافة وتعبئتها وشحنها بالرموز والمضامين والقيم وتشكيل حقلها الخاص داخل الاجتماع المدني.

من هذا المنطق نجد أن الدين عبارة عن نسق من الرموز المتمثلة في التعاليم التي جاء كما والتي تستوحى من لغة قوم ينتمون لها لتلقى هاته التعاليم الفهم ثم القبول، ومن ثم العمل كما وتطبيقها، ولذلك فإن اللغة العربية مرتبطة أشد الارتباط بالدين الإسلامي كون هذا اتخذ من العربية لغة له لقوله تعالى "إنّا أنزلناه قرأنا عربيا لعلكم تعقلون" (يوسف: 2)، وقوله عز وجل: "وكذلك أنزلناه قرأنا عربيا" (طه: 113)، فعلاقة اللغة بالدين هي أبعد من ذلك؛ حيث ارتبط الإنسان باللغة بعلاقة اندماجية بدأت مع بداية الخلق وتجلت في أعمق صورها حين علم الله آدم الأسماء في قوله: "وعلم آدم الأسماء كلها" (البقرة: 31)، فالتعليم لم يكن جزئيا وإنما جاء كليا مؤكدا أهمية اللغة في صناعة الحضارة الإنسانية، فلا سياسة ولا اقتصاد ولا أدب ولا علم بلا لغة، فقد اكتسب الإنسان إنسانيته باللغة، أي أنها هي التي أنسنت

<sup>23</sup> عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، ص 138.

.....اللغة العربية في عصر العلوماتية

هذا الكائن الذي عرف بأنه (حيوان ناطق)، بمعنى أن النطق الواعي للغة "الكلام" هو الذي ميّن من سائر الحيوانات 24.

إنّ للغة العربية قيمة كبيرة، لا تتمثل في أنها وسيلة للتعبير الوحيدة لكنها لغة القرآن والدين وسجل ماضينا وحاضرنا ووعاء ثقافتنا، ولذلك فإنّ أي تقصير في حدمتها لا يعد تقصيرا في جانب الوسيلة وإنما في جانب الغاية 25. إنما لغة ولآدة قادرة على البقاء رغم المعنى التي تتعرض لها فهي تملك أسباب القوة في داخلها.

ويعد القرآن الكريم سببا رئيسيا في قوة هذه اللغة وخلودها، كما أنّ الإسلام جعل تعلم اللغة العربية جزءا أساسيا من أجزائه؛ إذ لا يتم إسلام المرء إلا بمعرفة اللغة العربية، فالصلاة لا تكتمل إلا بتلاوة القرآن بلسان عربي مبين فضلا عن أن القرآن الكريم هو المقياس والميزان لقواعد اللغة من نحو وصرف وتراكيب ودلالات<sup>26</sup>.

وما يثير في النفس ألما أن تحظى اللغة العربية بهذه المكانة ثم ترمى من قبل متكلميها بشتى النعوت، ينظرون إليها بمنظار الشؤم والسخط ضانين أنها السبب في تأخرهم، وأصبحت تشكو الغربة في وطنها، وتتعجب؛ حيث ترى أشباه المثقفين يتحرون الدقة والصواب عندما يستخدمون اللغة الأجنبية ولا يعبئون حين يستخدمون اللغة العربية 21.

إن هذا ينم على معضلة حضارية تتجلى فيها صور الاغتراب الثقافي اللغوي في الوطن العربي، فكما أشرنا سالفا أنّ اللغة ككيان اجتماعي تحيا، تنمو وتموت، فإنّ ما تتعرض له حتى من منتسبيها يكشف عن ضعف الإيمان الروحي لديهم بهذه اللغة وما هو إلا اغتراب عن الدين نفسه لأنه مصدر قوتما الداخلية ونبض حركيتها.

24 مها حسن يوسف القصراوي، واقع اللغة العربية، ص 3.

<sup>25</sup> عز الدين صحراوي، "اللغة العربي في الجزائر..".

<sup>26</sup> مها حسن يوسف القصراوي، واقع اللغة العربية، ص 11-11.

<sup>27</sup> عز الدين صحراوي، "اللغة العربي في الجزائر..".

..... اللغة العربية في عصر المعلوماتية أ.د. فير وزمامي زرارقة .....

### ثانيا: اللغة وحدود الهوية الثقافية العربية:

1- الهوية: لا يمكن البحث في واقع اللغة دون التطرق إلى علاقة اللغة بالهوية، لأن اللغة عنصر جوهري ومرتكز أساسي من مرتكزاتها، والهوية في معناها اللغوي تم توليدها من النسبة إلى الضمير "هو" أو "الهو" وهي من قبيل المصدر الصناعي، وفي إصلاح الفلاسفة تعني "الغيب" أو "الحقيقة المطلقة أو "الله"، وتتمحور دلالات مصطلح الهوية حول الذات والحقيقة والماهية<sup>28</sup>. ويمكن القول بأن الهوية هي حقيقة الشيء وصفاته التي يتميز بما عن غيره، وتظهر بما شخصيته ويعرف بما عند السؤال عنه بما هو؟ أو ما هي؟. وتقوم هوية كل أمة على ما تتميز به عن غيرها من الأمم، كدينها ولغتها وقوميتها وتراثها، ويشير مفهوم الهوية إلى ما يكون عليه الشيء، أي من حيث تشخيصه وتحققه في ذاته وتميزه عن غيره، فهو وعاء الضمير الجمعي لأي تكتل بشري ومحتوى لهذا الضمير في نفس الوقت بما يشمله من قيم وعادات ومقومات، تكيف ووعى الجماعة وإرادتما في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كبانها<sup>29</sup>.

والهوية أيضا هي وعي للذات والمصير التاريخي الواحد و السمات المشتركة التي تتميز بها جماعة معينة من الناس وتعتز بها، أو هي مجموع المفاهيم العقائدية والتراثية لجماعة ارتبطت بتاريخ وأصول إنسانية ومفاهيم فكرية أدت إلى إفراز سلوك فكري وقيمي مترجم بأدب وفن وفلكلور، جعل من تلك الجماعة ذات شخصية مميزة عن غيره، فالهوية إذن هي مجموع السمات الروحية والفكرية والعاطفية الخاصة التي تميز مجتمعا بعينه وطرائق الحياة ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات وطرائق الإنتاج الاقتصادي والحقوق<sup>30</sup>.

<sup>28</sup> مها حسن يوسف القصراوي، واقع اللغة العربية، ص 22.

<sup>&</sup>lt;sup>29</sup> محمد عمر أحمد أبو عنزة، "واقع إشكالية الهوية العربية بين الأطروحات القومية والإسلامية دراسة منظور فكري"، (مذكرة ماجستير قسم العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط، 2011)، ص 35.

<sup>&</sup>lt;sup>30</sup> محمد عمر أحمد أبو عنزة، "واقع إشكالية الهوية العربية.."، ص 37.

وعليه تمثل الهوية رابطة روحية ضميرية بين الفرد وأمته، بمقتضاها يسعى إلى إعلاء شأن هذه الأمة ورفع مكانتها بين الأمم، كما تحتم عليه هذه الرابطة أن يعيش مدركا لمقومات ذاتية أمته التي هي في ذات الوقت عوامل تمايزها إزاء غيرها من الأمم وأن يسعى دوما إلى الحفاظ على تلك المقومات في مواجهة أسباب التحلل والانحيار، وذلك إلى جانب اعتزاز الفرد برموز أمته وإحلالها واحترامها والولاء لها، وتمثّل أبرز مقومات هوية الأمة في الدين، اللغة والسلالة والتاريخ في حين يشكل العلم أحد أهم رموز الهوية أن فاللغة هي من أبرز مقومات الهوية، فلا يمكن تصور هوية بدون لغة والعكس صحيح.

### 2- اللغة العربية والهوية:

من المعروف أن الهوية مرتبطة ارتباطا وثيقا باللغة، فهي لا تعتبر وسيلة للتواصل والتفاهم بين المجموعات البشرية فحسب، بل هي الأداة المعبرة عن قيمها وثقافتها وانتمائها وهويتها، فللّغة الأثر البالغ في تشكيل الهوية، فهي ذات وماهية وحقيقة أية جماعة في تميزها عن الجماعات الأخرى، وهي وعاء الثقافة التي تعد أساس الحضارة، فالحضارة ترجمة للهوية، ومنها كانت اللغة من أهم العوامل التي تساهم في تشكيل هوية الأمة، فكلما كانت اللغة أكثر اتصالا بثقافة الشعوب كانت أقدر على تشكيل هوية الأمة وحمايتها 32، فمن الضروري أن نجمع بين اللغة والهوية للكشف عن العلاقات وإبراز الوشائج بينهما، وبيان مكانتها ضمن منظومة عناصر الهوية. فاللغة ليست أداة للتواصل أو وعاء لحفظ التراث الإنساني فحسب، لكنها هي التي تعطي للإنسان تفرده وتبرز مكامن تفكيره وإبداعه وتجسد شعوره، وهي ترتبط جوهريا بمويته، فإذا كانت اللغة هي تلك الخاصية الإنسانية التي تعكس العقل الجمعي لفئة من الناس وتبلور رؤيتهم للعالم من حولهم، وإذا كانت الهوية هي الحقيقة

<sup>31</sup> أحمد محمد وهبان، الهوية العربية في ظل العولمة، إطلالة على حال الهوية في مصر والعالم العربي، (المملكة العربية السعودية، الجمعية السعودية السعودية، الجمعية السعودية للعلوم السياسية، حامعة الملك السعود، دس)، ص 5.

<sup>32</sup> جميلة قيسون: اللغة العربية وتشكيل الهوية، ص 3.

والذات والماهية، فإن اللغة تعد صورة حية لحقيقة أصحابها وذواتهم وماهيتهم 33. فاللغة والموية هما طرفان لامتداد واحد في مسيرة حياة الإنسان، الذي هو في جوهره لغة وهوية، فاللغة هي شعوره وفكره، ولسان تعبيره، وهي انتماؤه، ومن منظومة هذه الأشياء تتركب هويته وتتحدد 34.

ولذلك فاللغة هي أحد أهم مؤشرات الهوية الفردية والجماعية، وأحد المكونات الرئيسية التي تعرف بما المجموعات وتشكل هويتها، وهي في الوقت ذاته تؤثر على طبيعة العلاقات بين المجموعات العرقية المختلفة، وفي هذا الصدد يقول بوتش"إنّ اللغة هي غالبا أكثر رموز العرقية بروزا لأنها حملت الماضي وتعبر عن الاتجاهات والطموحات الحاضرة والمستقبلية". فللغة العربية أهمية ودور في بلورة الهوية العربية ولا شك أن من أهم مقومات هوية امتنا هي اللغة العربية والدين الإسلامي ولذلك سميت منطقتنا بأنها عربية نسبة إلى اللغة وبأنها إسلامية نسبة إلى الدين، فاللغة تجمع هذه الشعوب في بوتقة واحدة من جهة، والدين يلم الشتات من جهة أحرى ونفس الأمر بالنسبة للعناصر الأحرى 35.

وقد فطن الاستعمار قديما وحديثا إلى مكانة اللغة ودورها في مسخ هوية الشعوب المستعمرة واستلابها، لذلك وجه سهامه إلى اللغة لتدمير هويتهم وإحلال لغته محل اللغة الأم، وبذلك يفقد المرء انتماءه لهويته، ويضيع في متاهة الآخر ويصبح المرء تابعا بالفكر واللغة، فالشعوب يمكن أن تكبل بالسلاسل، وتسد أفواهها، وتشرد من بيوتها ويظلون مع ذلك أغنياء، فالشعب يفتقر ويستعبد ما أن يسلب اللسان الذي تركه له الأجداد عندئذ يضيع الى الأبد

<sup>33</sup> أبو بكر حسن أحمد مسعود، اللغة العربية والهوية الثقافية: الحالة السودانية نموذجا، جامعة القضارف، السودان، دس، ص 6.

<sup>.7</sup> مسعود، اللغة العربية والهوية الثقافية، ص $^{34}$ 

<sup>35</sup> جميلة قيسون، اللغة العربية وتشكيل الهوية، ص 4.

<sup>36</sup> مها حسن يوسف القصراوي، واقع اللغة العربية، ص 24-23.

إنّ الذين ينادون بإحلال اللغة الأجنبية محل اللغة العربية، يطالبون بالتخلي عن الهوية العربية، لأنّ هذا المطلب يعني خلق جيل تابع للغة الآخر وثقافته، ويصبح ولاؤه للثقافة التي يتعلم بلغتها وينسلخ عن أمته بفكره وشعوره، وينقطع عن جذوره التاريخية، ويهرب من هويته الوطنية ويعيش حالة ضياع وفقد بين جذوره العربية وحاضره الغربي، ومهما كانت اللغة قوية فلا يمكن أن تفعل شيئا في عقول مهزومة وألسنة معوجة. وبالتالي قبل النهوض باللغة والتعريب، يجب تعريب الفكر والعقل العربي من خلال تعزيز روح الانتماء إلى هويته، والثقة بقدرته على الإبداع والإنتاج بلغته، فالشعور بالهزيمة في المجتمع العربي مازالت ماثلة بقوة في العقل والذات رغم الاستقلال الظاهري وهذا ينسجم مع مقولة ابن خلدون "المغلوب مولع أبدا بالإقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده" 6.

إن اللغة العربية في العصر الحديث تمر بأزمة حضارية خطيرة تتمثل في إنكار أهلها لها وتوجيه التهم لها بالعجز، لأنهم فقدوا الثقة بما ولم يعودوا يعتمدون عليها في الحياة العلمية والعملية، وتناسوا أن دعواتهم إنما هي معاول في جسد الهوية العربية التي تعد القاسم المشترك بينهم. لقد هرول الكثير من العرب باتجاه الفكر العولمي بعد انهيار الإتحاد السوفيتي وسيطرة القطب الواحد المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية فعولمة الكون فكرة تسكن في رحم الاستعمار وأكثر خطورة، لأنها ليست استعمارا عسكريا، وإنما تنادي بوحدانية القطب في السياسية والاقتصاد والثقافة والفكر واللغة، وبالتالي تفقد الشعوب المستضعفة مميزاتها الحضارية، الثقافية، اللغوية، وتضيع خصوصية الهوية تحت شعار "العالم قرية صغيرة" أو عولمة الكون 83.

ثالثا: اللغة العربية في عصر المعلوماتية وإمكانية تفعيلها: انطلاقا من مسمى (القرية الكونية) فإن العولمة كنظام عالمي لم تقتصر على الجوانب الاقتصادية والسياسية وحسب، بل

\_

<sup>37</sup> مها حسن يوسف القصراوي، واقع اللغة العربية، ص 24-23.

<sup>38</sup> مها حسن يوسف القصراوي، واقع اللغة العربية، ص 24-25.

شملت حتى الجوانب الاجتماعية والثقافية لمختلف بلدان العالم بخاصة مع ما أفرزته ظاهرة المعلوماتية، وتجلى ذلك في طفرة تكنولوجيا المعلومات من خلال الشبكات الإلكترونية التي تعمل على تجميع المخزون الثقافي وعرضه على نطاق واسع وأن التسارع في التكنولوجيات أثر بطريقة أو أخرى سلبا على بعض لغات العالم لحساب لغات أخرى.

# 1- اللغة العربية والعولمة صراع من أجل البقاء:

إذا كانت العولمة في أبسط تعريفاتها تعني زوال الحدود بين الدول وتراسل المصالح وقيام عالم حديد شعاره الصفقة بدل الوثيقة على حد تعبير توماس فريدمان، فمن الضروري أن ينضوي تحت ذلك التأثير، التهام ثقافات الأمم المستقبلة للعولمة، وتقف اللغة في المقام الأول من هذه الثقافات على اعتبار أن اللغة هي روح أي ثقافة وعمادها ووعاؤها 39 وإذا كانت القضية منتهية لأولئك القائلين بالعولمة وقيمها وقوانينها لصالح اللغة الغالبة، فأين موقع العربية من هذا كله وخصوصا مستوى الفصحى منها؟ وهل تستطيع البقاء والاستمرار في ظل هذا الدفع القوي من الجانب الأخر؟.

إنّ عصر العولمة اليوم يفرض واقعا لغويا جديدا يمتاز بترد لغوي يتأصل يوما بعد يوم بحضور طاغ، وإذا كان الجحمع قديما قد وقف موقفا حازما بوجه محاولات الشعوبيين والمستشرقين والمستعمرين وأعوانهم على مر القرون، فإننا اليوم نجد أنفسنا أمام تحد كبير يتمثل في فتح الثغرات الواسعة أمام هذا الواقع الجديد؛ إذ أصبحت اللغة الأجنبية جواز مرور نحو المجدد المنشود، ومرة أحرى تزاحمت الأمة في تعليم أبنائها اللغة الأجنبية وتقنياتها وفنونها

... 20

<sup>39</sup> وليد محمود خالص، "اللغة العربية والعولمة"، في: عبد الرحمن صوفي عثمان (تحرير ومراجعة)، مجتمع المعرفة: التحديات الاجتماعية واللغوية في العالم العربي حاضرا ومستقبلا، (عمان، منشورات جامعة السلطان قابوس، ديسمبر 2007)، الجلد الثاني، ص 74-73.

وآدابها مما أدى إلى تضييع الأجيال الناشئة للغتهم الأم إلى حد أن تستعصي العبارات في كثير من الأحيان على ألسنتهم 40.

في اعتقادنا إننا نعيش اليوم أزمة لغوية طاحنة حتى أصبحت عاهة مستديمة تعود إلى علل لغوية، تصدع الوحدة وتحرم الدقة، وتبدد الجهد، وتعوق تسامي الروح والجسم والعقل والقلب<sup>41</sup>. ورغم الإحساس بالأزمة اللغوية، فهي تبقى مستعصية الحل، وذلك لعدة أسباب منها<sup>42</sup>:

- عدم الإلمام بالجوانب العديدة لإشكالية اللغة؛ أي يقتصر تناولنا للحوانب الهامشية منها كالتعليمية والمصلحية وتجنب الخوض في الجوانب الحساسة والهامة.
- قصور العتاد المعرفي لمعظم منظرينا اللغويين بعد أن أصبحت مسألة اللغة ساحة ساخنة للتداخل الفلسفي العلمي التربوي والإعلامي، بل التكنولوجي أيضا.
- القطيعة المرضية التي يقيمها البعض على احتلاف ميولهم الفكرية، مع التوجهات الفلسفية الحديثة والتي تولى جميعها اهتماما شديدا بأمور اللغة تنظيرا واستخداما.
- خطأ التشخيص لدائنا اللغوي، فتارة يوجه الاتهام إلى مدارسنا، وتارة إلى مجامعنا وتارة أخرى إلى أعلامنا، بل وصل الأمر بالبعض إلى إدانة اللغة العربية نفسها.
- إنّ راهن اللغة العربية في أمّس الحاجة إلى نظرة أشمل تتجاوز حدود الخطاب اللغوي الراهن، سواء من قبل اللغويين وأهل المعاجم وأئمة المجامع، أو من قبل نقاد الأدب والتربويين والإعلاميين.
- تواجه اليوم اللغة العربية باعتبارها وعاء الثقافة العربية والحضارة الإسلامية أخطارا تتفاقم باطراد، تأتي من هيمنة النظام العالمي الذي يرفض صياغة العالم الجديد متعدد الأقطاب

<sup>40</sup> مصطفى عدنان محمد، "اللغة العربية في عصر العولمة بين الواقع والمسؤولية"، في: عبد الرحمن صوفي عثمان (تحرير ومراجعة)، مجتمع المعرفة، ص91.

<sup>41</sup> نبيل علي، "العرب وعصر المعلومات"، مجلة عالم المعرفة، الكويت: العدد 184 (أفريل 1994)، ص234.

<sup>&</sup>lt;sup>42</sup> نبيل علي، "العرب وعصر المعلومات"، ص234-235.

والمراكز والثقافات، والذي يسعى لفرض اللغة الأقوى بحكم قوة الفعل السياسي والنقل العلمي والثقافي والاقتصادي؛ حيث يقر الجميع بأن اللغة لإنجليزية هي اللغة الأكثر انتشارا في العالم والتي ساعد الإعلام بمختلف وسائله في انتشارها وخاصة مع النفوذ اللغوي للأغاني والأزياء كما أنما تعتبر لغة دبلوماسية في كثير من المنظمات الدولية 43. لذلك فإنّ اللغة الآن في عصر العولمة تواجه تحديات كبيرة تتمثل في تيار الإنجليزية الجارف؛ حيث من مظاهر العولمة اللغوية في العالم 44.

- التداول بالإنجليزية في الحياة اليومية.
- كتابة لافتات المحال التجارية بالانجليزية.
- التراسل عبر الانترنت والهواتف النقالة بالانجليزية.
  - اشتراط إتقان الإنجليزية للتوظيف.
  - كتابة قوائم الطعام في المطاعم بالانجليزية.

هذا على المستوى الشعبي، أما على المستوى الرسمي فقد كفلت كثير من التشريعات الحكومية في البلاد العربية موقعا متفوقا للغة الانجليزية؛ من حيث عدها اللغة الأولى في النظم التعليمية، واعتمادها لغة رسمية في المعاملات التجارية والقانونية التي تنفذها الدولة.

هذا الواقع اللغوي يعكس حالة التقاعس التي نعيشها تجاه لغتنا الأم، هي حالة من الاستكانة والرضوخ دون إرادة في الإصلاح والتغيير للواقع اللغوي المتردي، ليزداد الأمر تأزما مع ظهور تكنولوجيا المعلومات واتساع فجوة الاغتراب اللغوي لأبناء المجتمع العربي وعموما يتجلى واقع اللغة العربية في الوطن العربي وفي الجزائر خصوصا في نقطتين أساسيتين:

-أنه رغم تدريس اللغة العربية الفصحى بعد الاستقلال واستعمالها في كل المستويات التعليمية، إلا أن التكوين اللغوي للطلبة ضعيف وأنهم على العموم أميون بالمعنى الجديد

<sup>43</sup> مرداسي الجودي، اللغة العربية وتحديات العولمة، ص 235.

<sup>44</sup> مرداسي الجودي، اللغة العربية وتحديات العولمة، ص 236.

أه. فير وزمامي زرارقة .......اللغة العربية في عصر العلوماتية

للأمية؛ أي أنهم غير قادرين على الكتابة أو على التحدث السليم السهل المتسلسل بالفصحى، وهذا يدل على جهلهم باللغة ومفرداتها وتراكيبها التعبيرية وقواعدها الصرفية والنحوية.

- بالرغم من احتكاك الطفل والطالب والأستاذ والمواطن العربي مع اللغة العربية الفصحى إلا أنه لا يزال يلاحظ-لا على المستوى النخبوي فقط، بل على المستوى الجماهيري- الرغبة والتكالب في العديد من مجتمعات الوطن العربي على تعلم واستعمال اللغة الأجنبية 45.

هذا ولم يكن تقهقر اللغة العربية الحديث نتيجة ضعفها، وإنما في عدم قدرة أهلها على تجديد مفردات اللغة وتطويعها وفق معطيات العصر وتقدمه العلمي والتكنولوجي، فحدثت فجوات بين اللغة العربية ومصطلحات العصر الحديث، دفعت أهلها لهجر لغتهم الأم واللحاق بركب اللغات الأخرى، اعتقادا منهم أن العربية لم تعد قادرة على مواكبة العصر التكنولوجي الحديث، واقتصرت النظرة إليها على أنها لغة أدب وشعر ليست لغة علم وتكنولوجيا.

# 2- اللغة العربية وتكنولوجيا المعلومات رهان الاستمرارية:

إن الملامح المميزة للظاهرة المعلوماتية في أبرز جوانبها هو ذلك التداخل الثقافي الذي أفرزته منظومة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من وفرة في وسائل الاتصال وسرعة في وصول المعلومات وتداولها الواسع، الأمر الذي أتاح للدول المتقدمة القوية بأدواتها وخبرتها ونسيجها الثقافي أن تبسط نوعا من السيطرة على الشعوب المستضعفة التي تفتقد لقوة الثقافة وأصالة التفكير وروح الإبداع، وانعدام روح الثقة في عناصر حضارتها، لتهيئ نفسها للانسلاخ والذوبان والاندماج مع عناصر الثقافات القوية التي تتخذ من اللغة أداة إستراتيجية لفرض الثقافة الغازية 46. لقد فحرت تكنولوجيا المعلومات إشكالية اللغة كما لم يحدث لها

-

<sup>.213</sup> مود الذوادي، المقدمة في علم الاجتماع الثقافي، ص $^{45}$ 

<sup>46</sup> عبد الرزاق غزال، "التنوع الثقافي والتعدد اللغوي في العصر الرقمي طريق النقاد، المشاركة، والتقاسم العادل للمعارف الإنسانية"، مجلة دراسات أكاديمية في المعلومات والمعرفة، قسنطينة: الجلد1، العدد1، (حوان 2009)، ص 75.

من قبل، بعد أن أظهرت المواجهة بينهما الحاجة الماسة إلى المراجعة الشاملة للمنظومة اللغوية ككل، وذلك حتى تتهيأ اللغة للقاء هذه الآلة المثيرة المتحدية. هذا على جهة اللغة، أما من جهة الكومبيوتر فقد كان لزاما عليه أن يتخلص من معماريته التقليدية آلة فون نيومان ذات الطابع المركزي الصارم، وذلك حتى يتأهل هو الآخر للقائه الحاسم مع اللغة، وهكذا وجد علماء الكومبيوتر أنفسهم أمام تحد حقيقي بما لا يكفي لمواجهة إشكالية اللغة والكومبيوتر .

فمنذ ظهور الكومبيوتر في أواخر الأربعينات وصلته باللغة تتوثق وتتأصل في كلا الاتجاهين، والمنطقي والحتمي أن تلتقي اللغة بالكومبيوتر، وذلك لسبب بسيط وأساسي هو كون اللغة تحسيد لما هو جوهري في الإنسان؛ أي نشاطه الذهني بكل تجلياته، في الوقت نفسه الذي يتجه فيه الكومبيوتر نحو محاكاة وظائف الإنسان وقدراته الذهنية، وبلغ هذا الالتقاء درجة عالية من التفاعل العلمي والتقني بفضل عدة أسباب متعددة المصادر. وعن حقيقة التقاء اللغة العربية بتكنولوجيا المعلومات فيمكن القول إنه لقاء ينطوي على مواجهة غير متكافئة في اللغة العربية والإنجليزية وذلك لطغيان الأساس الإنجليزي على توجهات تكنولوجيا المعلومات التي حددت أصلا لتلبي المطالب الخاصة باللغة الإنجليزية من خلال:

- تصميم معظم لغات البرمجة باللغة الإنجليزية.
- استخدام الشفرات لتبادل البيانات للتعامل مع الأبجدية الإنجليزية المحدودة وفي عدد حروفها وأشكال هذه الحروف.
- تصميم أساليب نظم تخزين المعلومات واسترجاعها على أساس أن اللغة الإنجليزية لغة الهدف.
  - القسم الأكبر من مكتبة البرامج الجاهزة باللغة الإنجليزية.
  - معظم الكتب والبرامج والمراجع والدوريات والبحوث باللغة الإنجليزية.

<sup>&</sup>lt;sup>47</sup> نبيل علي، "العرب وعصر المعلومات"، ص 330.

- إن عمل الحاسوب يجب أن يكون وسيلة لخدمة اللغة العربية وحاكيا بدقة مختلف جوانبها وليس قاصرا لها، بحيث يطوع اللغة العربية لما يناسب تصميم الحاسوب نفسه، وهذا لا يعني الجمود على الوضع الحالي للغة العربية، بل يتطلب اجتهادات علماء اللغة والمتخصصين بالحاسوب.

إنّ الهدف الأسمى لمعالجة اللغات آليا هو الوصول إلى نظام أوتوماتيكي لفهم السياق اللغوي في صورته المنطوقة والمكتوبة، لكن المعنى في اللغة هو معضلة يصعب فهمها على النظم الأوتوماتيكية، فاستيعاب اللغة العربية أليا في نطاق الإنجليزية هي عملية خاطئة من أساسها وذلك يعود إلى سببين رئيسيين:

الأول: أن اللغة العربية بصفتها أعقد اللغات السامية، والإنجليزية باعتبارها من أبسط اللغات الهندو -أوروبية يمكن النظر إليهما كطرفي نقيض على محور معالجة اللغة آليا.

الثاني: أن العربية في معظم أمورها أعقد من الإنجليزية كتابة وصرفا ونحوا ذلك أن من أهم خصائص منظومة اللغة العربية: التوسط اللغوي، حدة الخاصية الصرفية، المرونة النحوية، الانتظام الصوتي، ظاهرة الإعراب، الحساسية السياقية، تعدد طرق الكتابة وغياب عناصر النظومة اللغوية 49. التشكيل، ثراء المعجم واعتماده على الجذور، شدة التماسك بين عناصر المنظومة اللغوية 49.

وبالرغم من ذلك فقد أثبتت العربية جدارتها كلغة عالمية بفضل توسطها اللغوي؛ حيث يسهل تطويع النماذج البرمجية المصممة للغة العربية لتلبية مطالب اللغات الأخرى، وعلى رأسها الإنجليزية لكن في ظل العولمة وثورة المعلومات، تتعرض العربية لحركة تحميش نشطة بفعل طغيان اللغة الإنجليزية على الصعيد السياسي والاقتصادي والتكنولوجي والمعلوماتي مثلها مثل معظم لغات العالم، لذلك أصبح الاهتمام بلغتنا العربية في هذا العصر ضرورة لإثبات شخصيتنا الحضارية وبناء حاضرنا الفكري والثقافي، ومستقبلنا العلمي. فهي

\_

<sup>48</sup> محمد زكى محمد خضر، الحروف العربية والحاسوب، (الجامعة الأردنية: مجمع اللغة العربية الأردني، 1996)، ص 2.

<sup>.332</sup> علي، "الثقافة العربية في عصر المعلومات"، ص $^{49}$ 

أهم وسيلة لدعم عقيدتنا ومبادئنا وحماية مجتمعنا الإسلامي من التيارات الوافدة من مختلف ثقافات العالم والمعادية للإسلام، ولهذا فإن الإقدام على تعلم العربية أمر ضروري لأنها لغة الثقافة والدين الإسلامي ومن أتقنها كان حاملا لراية من رايات الإسلام 50، فلا يمكن البقاء تحت مخدر العولمة والتقوقع حول ذواتنا وترك لغتنا الأم في مهب رياح العولمة الثقافية تعصف بحا كيفما شاءت. لكن لابد أن نستغل الفرصة من خلال المنافذ التي تمنحها تكنولوجيا المعلومات ونتحاوز صدماتنا اللغوية الأولى والتي كانت بفعل الاستعمار العسكري (فرنسي، إنجليزي)، والثانية بفعل الاستعمار الثقافي والأشد خطورة لأنه أقرب إلينا فوق ما نتخيل، وعليه لابد من تكثيف الجهود للنهوض باللغة العربية وبعث الحيوية فيها من جديد، وأن نجعل من العولمة وتكنولوجيا المعلومات سلاحا في الاتجاه المعاكس لأجل نصرة اللغة العربية والدين الإسلامي.

استخلاصات ختامية: اللغة هي أحد أهم مؤشرات الهوية الفردية والجماعية وأحد المكونات الرئيسية التي تعرف بها المجتمعات وتشكل هويتها، وهي في الوقت ذاته تؤثر على طبيعة العلاقات بين المجموعات العرقية المختلفة، فمواكبة حضارة العصر الحديث لن تكتمل بالنسبة إلينا إلا إذا توازنت فيه ذاتيتنا العربية مع إنسانيتنا الحضارية، والمقوم الجوهري لهذه الذاتية هو اللغة العربية التي بقيت كما يقول ماسينيون أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الحقل الدولي وعنصرا جوهريا للسلام في مستقبل الأمم والشعوب.51

إننا نجهل في العصر الحديث أهمية اللغة العربية ودورها الحضاري والأحلاقي، فهي السياج الذي يتحصّن به الأبناء لحماية الذات والوجود من أية هزيمة ثقافية لأن الاستلاب اللغوي وهزيمة اللغة الأم يؤدي إلى استلاب فكري وحضاري، يفقد الإنسان القدرة على الإبداع والمساهمة في إثراء الثقافة.

\_

<sup>50</sup> محمد بخير الحاج عبد الله، 2009، ص87.

<sup>51</sup> هيثم غالب الناهي، "اللغة العربية في خطر، الجميع شركاء في حمايتها"، **مجلة المستقبل العربي،** بيروت: العدد 415، (ماي 2013)، ص188.

ومن أجل التوعية كبداية لتغيير الواقع اللغوي في الوطن العربي، لا بأس أن نقدم جملة من المقترحات منها:

- لابد من بلورة سياسة لغوية على مستوى الوطن العربي يدعى إلى المشاركة في وضعها كل المتخصصين في اللغة والتربية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والبيولوجيا، على أساس أن اللغة هي مسؤولية النخبة المفكرة قبل أن تكون مسؤولية الساسة، وعلى أهل الاختصاص التوسع في الدراسات المقارنة والتقابلية للغة العربية.

- إنشاء مركز قومي متخصص لرعاية أمور اللغة العربية تنظيرا ومعجما واستخداما وحوسبة، وتشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في مجال تكنولوجيا اللغة العربية، وتطوير آلة بحث ذكية للغة العربية. كما ينبغي استغلال شبكة الانترنت ومالها من أهمية كبيرة بالنسبة للغة العربية، بوصفها فرصة للإقلاع والنهوض من خلال توطين العربية في مجتمع المعلومات والمعرفة وكذا الاقتصاد الجديد المرتبط بأنشطة الشركات المتخصصة في الثقافة الجديدة للتواصل والانترنت والمعلومة، والاستعانة بتجارب الآخرين في كيفية حوسبة لغاتمم، وتوجيه أبحاث أساتذة الجامعات وطلابهم نحو هذا الموضوع، وإدخال مناهج البحث اللغوي العلمي الحديثة إلى الجامعات العربية وإيجاد وعي لدى الناس بأهمية قضية النهوض الحضاري، فضلا عن تعرب سوق العمل والتعليم والإدارة والإعلام وجميع المؤسسات الوطنية والعربية، وربط اللغة العربية بجميع معطيات العصر وتطوراته في الميادين كافة، والنهوض بالترجمة على مستوى الكوادر البشرية والتجهيزات التقنية.

إنّ تعاظم الأزمة اللغوية في وطننا العربي يعود في المقام الأول إلى طريقة تعامل الأفراد المنتسبين إليها، وليس لها بذاتها فهي لغة سامية متعالية عن كل التهم الملقاة على عاتقها، فيكفي أن يحس بها أبناؤها ويمتلكوا ناصيتها ويتقنوا استخداماتها في كل المواقف الحياتية سواء على المستوى الجماهيري أو على المستوى الأكاديمي والنخبوي، فهي كائن اجتماعي يحيا وينمو ويموت؛ إذا لم تلقى العناية اللازمة، تزول برغم قداستها ويندثر معها تراثها الثقافي

دراســـات 101 مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية

العربي، وتتلاشى معالم هويتنا العربية كوننا في حالة اغتراب عن لغتنا الأم، والذي يضفي بنا هذا كله إلى أن يجعلنا في حالة مرض لغوي مادمنا نفتقر إلى مبدأ العفوية والسلاسة والراحة النفسية في استعمالنا للغتنا العربية.